



شارع العولمة

لقطة سمعية من احدى الاذاعات العربية الرسمية: تظاهرة تضامن مع الشعب الفلسطيني في شوارع العاصمة...، رفع فيها المتظاهرون "صور السيد الرئيس ...، وصور القائد الخالد ...". رفعاً للالتباس، ليس ياسر عرفات المقصود ب"السيد الرئيس" ولا جمال عبد الناصر ب"القائد الخالد". ستحرر فلسطين، والاعلام الرسمي في بعض الانظمة لا يتحرر.

لقطة سمعية - بصرية من احدى التظاهرات العربية غير الرسمية لم يتحدث عنها الاعلام الرسمي، وقبل ان تطفئها تظاهرات اكثر "تنظيماً": المشهد يدور في دمشق، والصور المرفوعة لياسر عرفات وجمال عبد الناصر. من اين يأتون بها، بعد كل سنوات الشخ؟ لكن الافصح حتى من استعادة شخصيتين اريد محوهما من الذاكرة، كانت بعض الهتافات الغريبة للوهلة الاولى التي خاطبت احد الصحافيين العرب المقيمين في لندن لتزكية خياراته الاحتجاجية ومطالبته بالمزيد. الصحافي هو عبد الباري عطوان، رئيس تحرير جريدة "القدس العربي". كيف يعرفونه و"القدس" لا تصل الى دمشق ولا حتى الى بيروت؟ الفضائيات العربية، لا ريب، وايضاً الانترنت. ثلاث وسائل تعبير فعلاً العدوان الاسرائيلي الاخير: التلفزيونات الفضائية والانترنت والشارع.

الفضائيات، لا حاجة لاثبات اهميتها، وان يكن من الضروري مقارنة صورتها الاجمالية، من دون اختزالها ب"الجزيرة". فمهما يكن اداء المحطة القطرية جيداً ورغم الافضلية التي تتمتع بها عند صانعي الحدث لكونها مكرّسة للاخبار على مدار الساعة، لم تعد وحدها في الميدان. في فلسطين، صار اسمها مقروناً باسم محطة منافسة بذلت جهداً مميزاً في الاسابيع الاخيرة هي فضائية ابو ظبي، فيما تستطيع "ام بي سي" الركون الى المهنية الهائلة التي يتمتع بها مراسلها نبيل الخطيب. حتى على جبهة "القاعدة" التي خالها الجميع وقفاً على "الجزيرة"، نرى ايضاً "ام بي سي" تسجل اختراقاً لم يكن محسوباً.

بالمقارنة، تبدو الفضائيات اللبنانية بعيدة جداً عن المنافسة، بما في ذلك الاثنتان اللتان تكرسان وقتاً مديداً لتغطية شؤون فلسطين. ف"تلفزيون المنار" يظل منبراً حزبياً، ولم ينجح حتى الآن في الاثبات ان اولويته هي للانتفاضة كما يقول وليس لخياراته العقائدية، فيما يواجه "المستقبل" مشكلة معكوسة، اذ يتأكد مرة جديدة انه على خط الرئيس الحص يُعنى بالشأن الوطني لا السياسي، الامر الذي ينعكس على خبرة بعض الصحافيين المولجين قراءة الملاحق ومحاوره الضيوف عبر الهاتف.

اما ال"ان بي ان"، فعلى عادتها "بيوتية"، وال"ام تي في" غائبة كلياً عن المشهد كما حصل قبل ذلك خلال الحرب في افغانستان، وها هي "المؤسسة اللبنانية للارسال" تجاريتها في هذا الانزواء بعدما قررت التخلي عن رأس حربتها في فضاء السياسة العربية والاكتفاء بالقهقهة في زوارب السياسة المحلية.



الانترنت ايضاً لم تكن بحاجة الى الازمة الاخيرة لتثبت فاعليتها. لكن كل من يملك عنواناً الكترونياً يعرف مقدار الزيادة في المراسلات منذ اسابيع. عرائض على الانترنت للمطالبة بتحقيق في مجزرة جنين او بنزع جائزة نوبل عن شمعون بيريس او بوقف الدعم الاميركي لاسرائيل، مقالات مستقاة من مواقع الصحف الاسرائيلية والعالمية، صور او رسوم عما يحصل في فلسطين، نشرات وتقارير من مواقع المنظمات غير الحكومية... عشرات المراسلات تصل يومياً الى كل صندوق بريد، مع اشارة بضرورة توزيعها على كل من يملك المرسل اليه عنوانهم. واكثر من مقال يصل اكثر من مرة، حتى صار من يتلقى كل هذه المعلومات في غنى عن البحث بنفسه في مواقعه المفضلة. وسط هذه الحمى، لا بد ان تسري الشائعات.

واحدة لقيت نجاحاً كبيراً الاسبوع الماضي تحدثت عن عزم السينمائي الاميركي ستيفن سبيلبرغ على اخراج فيلم عن الانتفاضة يؤكد حقوق الفلسطينيين وينطلق من رفضه المزعم ان تنكلم اسرائيل باسمه، بصفته يهودياً. في الحقيقة، الشائعة كانت مركبة باحكام، وجاءت على شكل نبأ موقع منسوب الى جريدة "هوليوود ريبورتر". كانت المفاجأة كبيرة الى حد يجعل التأكد منها ملحاً، قبل اعادة توزيع النبأ. البحث الاولي على الموقع الالكتروني للجريدة لم يعط شيئاً، وخصوصاً ان الموقع لا يملك وظيفة "ابحث". لا شيء عن سبيلبرغ للوهلة الاولي، الى ان ظهر اسمه في ذيل احدى الصفحات.

الخبر، الخبر الحقيقي، تقول الجريدة، ان سبيلبرغ تعرّض الى "تلفيق". وفي اليوم التالي، مراسلات الكترونية من اكثر من مصدر تحذر من الشائعة وتطلب ابلاغ من امكن.

الشارع، بعكس الانترنت والفضائيات، كان بحاجة الى من يذكر بأنه وسيلة تعبير. من قام بهذا التذكير؟ ياسر عرفات؟ لا شك انه حرك الناس في جميع البلدان العربية وغيرها عندما حدّد سقف المعركة بالشهادة. لكن الفضائيات لعبت دوراً كبيراً، والانترنت كذلك. ليس فقط لأن عرفات اطلق شعار المعركة على "الجزيرة" التي ما انفكت تردده، بل لأن البث الفضائي عمّم نموذج التظاهر على كل العرب، بما في ذلك مواطنو الدول التي لم تشهد في تاريخها تظاهرة احتجاج واحدة. ولعل هذا ما يعطي التظاهرات في بيروت اهميتها : انها تشجّع الآخرين. اما الانترنت، فيبدو انها كانت في اكثر من دولة وسيلة للتنادي الى الاعتصام. ومن دون ان ننسى الهاتف الجوال الذي يسمح للفضائيات بنقل وقائع تظاهرة محظورة، رغم التعتيم، فينبئ المشاهدين في مدينة من الغرب السعودي بما يحصل في مدينة من الشرق. بيد ان شارع العولمة ليس فقط للاحتجاج. فبنتيجة تضافر كل وسائل التعبير، اخذ التحرك من اجل تقديم المساعدات العينية او المادية الى الفلسطينيين مدى لم نشهد له مثيلاً في السابق.

لم يتحرك "الشارع العربي" وحده. مرت الصورة بشكل عابر على بعض الشاشات: حاخام يهودي بلباسه التقليدي وشعره المجذول، والى جانبه شخص آخر بالثياب المدنية ومن دون اي علامة فارقة قد تدل على انتمائه الديني او اصله الاتني، والاثنان يضحكان وهما يهتفان: "فري، فري، بالستين" (فلسطين حرة، حرة). تليها صورة عابرة اخرى تجمع عدداً من الحاخامات يبدو من طريقة لبسهم انهم من مجموعة "ناطوراي كارتا" المناهضة للصهيونية على اساس نمط من الارثوذكسية اليهودية القائلة بان مملكة اسرائيل لا تقوم في هذه الدنيا، وعلى الارجح ان "التهيف" في الصورة السابقة منهم. لم يكن هؤلاء المتدينون اليهود الوحيدين الذين تظاهروا يوم السبت الى جانب العرب الاميركيين وعدد من الناشطين اليساريين. كان هناك ايضاً، على ما يبدو، افراد من اليهود الذين يناهضون الصهيونية على اسس غير دينية، ويسارية عموماً، وآخرون لا يرفضون فكرة دولة



اسرائيل لكنهم يتعاطفون مع حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. العرب في الولايات المتحدة وفي اوروبا يعرفون اهمية هذا الدعم (بدليل الشائعة التي سرت حول سبيلبرغ). والانترنت والبريد الالكتروني ينقلان الينا يومياً عدداً من القرائن، واحياناً كثيرة من اسرائيل نفسها، على زيف ادعاء الصهيونية والمؤسسات اليهودية الرسمية النطق باسم جميع اليهود. ربما جاء الآن دور الفضائيات العربية كي تشرح لمشاهديها هذا الواقع الاكثر تعقيداً مما يتخيله المواطنون العرب في بلدانهم، فيزيدون تفعيل "شارعهم" من دون ان يعتقدوا ان العالم كله ضدهم.

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000750	
Media	(Support)	HC
Title		شارع العولمة
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٤/٢٢ 22/4/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	شمعون بيريس - ياسر عرفات - جمال عبد ناصر - حافظ اسد - ستيفن سبيليرغ - عبد باري عطوان - سليم حص - نبيل خطيب
	Locations	فلسطين - سوريا - اسرائيل - لندن - لبنان - سعودية - اميركا - اوربا
	Dates	
	Themes	عرب - فلسطين - سوريا - اسرائيل - صراع عربي اسرائيلي - اعلام عربي - تظاهرات تضامن مع شعب فلسطيني - جريدة قدس عربي - محطة جزيرة - محطة ام بي سي - تلفزيون منار - محطة ان بي ان - محطة ام تي في - جريدة هوليوود ريبورتر - مجزة جنين - متظاهرين يهود مناهضون للصهيونية
Subject		